مهنّد مصطفى*

نتنياهو الأب، والابن: الكوارث كإطار فلسفي

تهدف هذه الورقة إلى الوقوف على السيرة الذاتية والفكرية لبنتسيون نتنياهو، والد رئيس الحكومة الحالي بنيامين نتنياهو، في محاولة لسبر غور فكره وتصوراته الأيديولوجية حول الصهيونية، واليهود والصراع في فلسطين. كما يرمي هذا البحث إلى تحليل تأثير هذه السيرة وهذا الفكر على نتنياهو الذي تجمع الأدبيات على أنه تأثّر بأبيه، ولكنها لا تحلل هذا التأثير بعمق، أو تحصره في الجانب السياسي فقط، دون فهم خلفياته الأيديولوجية. وقد زاد الاهتمام بفكر بنتسيون نتنياهو في ثمانينيات القرن الماضي بعد صعود اليمين إلى لحكم، حيث بدأ بإعادة إنتاج الذاكرة التاريخية الإسرائيلية التي أقصت في الماضي فكر ودور الحركة الصهيونية التنقيحية (التصحيحية)، وكان لبنتسيون نتنياهو دور في إعادة إنتاج هذه الذاكرة من جهة، ودخوله بذاته إليها من جهة ثانية، لا سيّما أنه كان أحد المقربين من زئيف جابوتنسكي قائد الصهيونية التنقيحية ومنظّرها. وقد اكتسبت شخصية بنتسيون مزيدًا من الاهتمام منذ سنوات التسعينيات تحديدا بعد صعود نجله بنيامين نتنياهو إلى الحكم، وتحوله إلى أحد أهم قيادات اليمين الإسرائيلي، وذلك في محاولة لفهم تأثير الأب على ابنه في توجهاته السياسية والأيديولوجية.

قراءة سياسية في سيرته الشخصية

ولد بنتسيون نتنياهو لعائلة كانت من رواد الحركة الصهيونية، لا سيما والده، ولد والده نتان ميلوكوفسكي في عام ١٨٨٠ في قرية «كريبو» في ليتوانيا، تعلم في مدرسة دينية في بولندا وعمره عشرة أعوام، وتأهل لدرجة حاخام وعمره ثمانية

* باحث ومحاضر أكاديمي في العلوم السياسيّة، مدير عام مركز مدى الكرمل في حيفا

نتنياهو ووالده: التطرف وجذره

عشر عاما. تأثر في فترة شبابه بصهيونية هرتسل، وتنقل بين المجموعات اليهودية في أوروبا وروسيا والصين مبشرا بالصهيونية، ولكنه انقلب لاحقا على هرتسل بسبب طرحه مشروع أوغندا وضرورة إيجاد حل مرحلي لليهود، حينها تأثر ميلوكوفسكي بشخصية زئيف جابوتنسكي الذي خرج ضد طرح هرتسل، وقد توطدت علاقات صداقة شخصية ورابطة أيديولوجية بين الرجلين. ففي المؤتمر الصهيوني السابع عام ١٩٠٧، قال ميلوكوفسكي إن «مشروع أوغندا هو خيانة لكل الأجيال، وسقوط أخلاقي ونفسي».[١] يصف نتنياهو جده في كتابه «مكان تحت الشمس»، على النحو التالي:

«كان جدي الحاخام نتان ميلوكوفسكي، الذي تجنّد للحركة الصهيونية في شبابه، في عقد التسعينيات من القرن الماضي، واحدا من عدد لا يُعد ولا يحصى من المتحمسين لهذه البشرى، وأصبح أحد مبشري هذه الحركة الرئيسيين، ونشر مبادئها بين اليهود في شرق سيبيريا حتى مينوسوتا في الولايات المتحدة الأميركية، وبعد فترة من الوقت، في عام ١٩٢٠، أثبت أنه ليس من الذين يقولون ولا يفعلون، إنما يقول ويفعل: حمل عائلته الكبيرة، وأبحر من ترايست إلى حيفا، واستوطن في أرض إسرائيل».[٢]

اعتقد ميلوكوفسكي أن أي طرح غير إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يعتبر «خيانة لملايين اليهود الذين ضحوا بحياتهم على مدار مئات السنين من أجل هذا الهدف».[٣]

في عام ١٩١٠ ولد نجله البكر، بنتسيون نتنياهو، الأول من عائلة مكونة من ثمانية أخوة وأخت واحدة، وعلى الرغم من أنهم عاشوا في بولندا، كانت اللغة العبرية لغة البيت الوحيدة. هاجرت العائلة إلى فلسطين عام ١٩٢٠، عمل ميلوكوفسكي في الصندوق القومي اليهودي، وبسبب قربه من جابوتنسكي، بدأ نجله بنتسيون نشاطه الصهيوني مبكرا إلى جانب جابوتنسكي. انضم بنتسيون للحركة التنقيحية برئاسة جابوتنسكي عام ١٩٢٨، وأصبح لاحقا مساعده الشخصي في الولايات المتحدة الأميركية.

وكان الحاخام ميلوكوفسكي، وقف إلى جانب اليهود الذي اتهموا بقتل حاييم أرلوزوروف رئيس الشعبة السياسية في الوكالة اليهودية، عام ١٩٣٣، والذي كان أحد القيادات السياسية المهمة في الحركة الصهيونية. وقد وقف ميلوكوفسكي مع المتهمين اليهود، والذين تمت تبرئتهم، وخاصة تبرئة المتهم الرئيسي بالقتل بسبب وجود شهادة إدانة واحدة فقط (شهادة زوجة أرلوزوروف)، وللإدانة بالقتل كان هنالك حاجة لأكثر من شهادة. بعد وفاة الحاخام ميلوكوفسكي عام ١٩٣٥ (عن عمر ٥٥ عامًا)، خصصت مجلة «هيردين» (الأردن) والتي كان يحررها نجله بنتسيون، عددا خاصا لهذه المناسبة، وقد كتب عنه يوسف كلوزنر، الكلمات التالية: «لم يكن الحاخام ميلوكوفسكي حزبيًا تنقيحيًا. كان صهيونيا، صهيونيًا دون أي إضافة، ويكفيه ذلك. لكنه كان معجبًا بجابوتنسكي، فقد رأى فيه مقاتلا شجاعًا من أجل الفكرة المسيانيّة، وداعمًا لتحقيق الهدف القومي كاملا، ومع الخلاص الكامل كما أوحى الأنبياء

نشط بنتسيون في فترة الانتداب البريطاني على فلسطين في الكتابة والعمل الصحافي، كان يمينيا راديكاليا، فقد آمن بفكرة أرض إسرائيل الكبرى (ضفتي الأردن)، والكفاح العسكري ضد العرب والانتداب البريطاني. تخصص بنتسيون في هذه السنوات في الدراسات التاريخية، وخاصة تاريخ اليهود في إسبانيا، وحاول الانضمام إلى الطاقم الأكاديمي للجامعة العبرية، إلا أن المؤسسة الأكاديمية رفضت طلبه.

ومن جاء بعدهم».[٤] في مقال كتبه بنتسيون عام ١٩٣١، في خضم المؤتمر الصهيوني السابع عشر، هاجم فيه معارضي جابوتنسكي بشدة، ووصفهم بضيق الأفق المستقبلي، واعتبر أن الحركة الصهيونية بدون التنقيحيين، هي حركة بلا روح، ولا تحمل القيم المثالية، فضلا عن أن تأثيرها سيكون معدوما.[٥]

نشط بنتسيون في فترة الانتداب البريطاني على فلسطين في الكتابة والعمل الصحافي، كان يمينيا راديكاليا، فقد آمن بفكرة أرض إسرائيل الكبرى (ضفتي الأردن)، والكفاح العسكري ضد العرب والانتداب البريطاني. تخصص بنتسيون في هذه السنوات في الدراسات التاريخية، وخاصة تاريخ اليهود في إسبانيا، وحاول الانضمام إلى الطاقم الأكاديمي للجامعة العبرية، إلا أن المؤسسة الأكاديمية رفضت طلبه، الأمر الذي ترك أثرا سلبيا عنده ومرارة شديدة ممزوجة بكراهية للتيار الآخر في الصهيونية، حيث زعم أن سبب رفضه يعود لمواقفه السياسية والأيديولوجية.[٦]

هاجر بنتسيون بعد فشله في الحصول على وظيفة في الجامعة العبرية إلى الولايات المتحدة عام ١٩٣٩ ليكون مساعدا شخصيا وسكرتيرا لجابوتنسكي حتى وفاة الأخير عام ١٩٤٠. بعد وفاة جابوتنسكي بقي بنتسيون في الولايات المتحدة ناشطا سياسيا في الحركة التنقيحية وباحثا أكاديميا، وعمل هنالك مسؤولا عن مكتب الحركة التنقيحية في نيويورك. هنالك، ولد نجل بنتسيون البكر يوني في عام ١٩٤٦. هاجرت العائلة مرة أخرى إلى فلسطين في تشرين الثاني ١٩٤٨، بعد الإعلان عن تأسيس دولة إسرائيل، وسكنت في القدس. في ذلك العام، أسس مناحيم بيغن-تلميذ جابوتنسكي ووريثه- حركة «حيروت»، كحركة سياسية تمثل التيار التنقيحي في الدولة الجديدة، إلا أن الحركة الجديدة وبيغن تحديدا تعاملوا مع بنتسيون كمهاجر جديد، لم يكن له دور في الحرب ضد العرب والفلسطينيين، لذلك لم يقترح بيغن عليه أي منصب في الحركة الجديدة، حتى أنه لم يعرض عليه أن يكون له دور في المجلة الناطقة بلسان الحركة، وذلك على الرغم من القدرات الفكرية والأكاديمية لبنتسيون، وهو الرجل الذي كان رائدا في النشاط الفكري والصحفي في فترة الانتداب، والمقرب من جابوتنسكي، وقد خلق ذلك شرخا بين الرجلين، وهو الشرخ الذي سيعود على نفسه بين أبناء الرجلين (بنيامين نتنياهو وبيني بيغن) في التسعينيات، والصراع بين نخب الليكود القديمة والشاب الجديد في الحزب الذي يريد السيطرة عليه. في تشرين الأول عام ١٩٤٩ ولد الابن الثاني لبنتسيون، بنيامين نتنياهو، وكما يقول كسفيت وكفير في كتابهما، ولد بنيامين في واقع كان فيه بن غوريون «عدوا» وبيغن ليس صديقا.[٧] تعمّق إحباط بنتسيون خلال وجوده في إسرائيل، فكل محاولاته لإيجاد فرصة عمل في المؤسسة الأكاديمية الإسرائيلية باءت بالفشل، وعاد لاتهام حزب «مباي» الحاكم بملاحقته سياسيا ومنعه من الحصول على عمل في الجامعات والمؤسسات الأخرى.

وجد بنتسيون ضالته في اقتراح قدمه له أستاذ التاريخ يوسف كلوزنر، والذي كان قد عيّن محررا للموسوعة العبرية، حيث نصبه كلوزنر نائبا له. وبعد سنوات أصبح بنتسيون محرر الموسوعة. لقد كان بنتسيون من أشد المعجبين بكلوزنر، فقد عرفه خلال نشاطه في الحركة التنقيحية خلال فترة الانتداب البريطاني، وكان يعتبره معلمه، وأستاذه، وكتب الكثير من المقالات مدحا له، فقد كان كلوزنر من مفكري الصهيونية التنقيحية، والذي عانى أيضا من إقصاء من النخبة الأكاديمية في الجامعة العبرية آنذاك، وشارك بنتسيون في الكثير من مبادراته الصحفية والثقافية خلال هذه الفترة.[٨] توجهت نقابة العمال (الهستدروت) التابعة لحزب «مباي» في كانون الأول عام ١٩٥٧ إلى داعمي الموسوعة العبرية (وهي عائلة بلاي)، بشكوى أن بنتسيون نتنياهو يقلل من دور حركة العمل الصهيونية في تأسيس الدولة ومحاربة الإنجليز، ويعطى دورا أكبر للحركة التنقيحية بقيادة جابوتنسكي. وبعد خمس سنوات، من هذه الشكوى، وبعد أن تم إصدار عشرة

يشير الصحافي آري شبيط، إلى الأثر الذي تركه «نفيّ» بنتسيون على العائلة، فيقول "على الرغم من أنه (بن تسيون) نال الشهرة بوصفه خبيراً في مجاله في نهاية المطاف، فإن المؤسسة الأكاديمية الإسرائيلية لم تعترف بقدراته على الإطلاق. وقد اضطر، نتيجةٍ لذلك، إلى العمل في سلك التعليم والأبحاث في الولايات المتحدة وتربية أولاده في الخارج. وقد ترك هذا الرفض - هذه التجربة القاسية التي اقترنت بالعظمة التي لم تحظِ بالاعتراف- بصمته على العائلة.

مجلدات من الموسوعة العبرية، اختلف بنتسيون مع عائلة بلاي واستقال من منصبه، وقد جاءت استقالته أيضا بعد حصوله على منصب في إحدى جامعات الولايات المتحدة الأميركية. وبعدها عاشت العائلة في الولايات المتحدة حتى العام ١٩٧٨، وبعد صعود الليكود للحكم عام ١٩٧٧، هاجرت العائلة مرة أخرى واستقرت في إسرائيل. تجند يوني خلال مكوث العائلة في الولايات المتحدة للجيش، ولحقه بنيامين نتنياهو والتحق بالخدمة العسكرية عام ١٩٦٧.

يشير الصحافي آري شبيط، إلى الأثر الذي تركه «نفيّ» بنتسيون على العائلة، فيقول «على الرغم من أنه (بن تسيون) نال الشهرة بوصفه خبيراً في مجاله في نهاية المطاف، فإن المؤسسة الأكاديمية الإسرائيلية لم تعترف بقدراته على الإطلاق. وقد اضطر، نتيجةً لذلك، إلى العمل في سلك التعليم والأبحاث في الولايات المتحدة وتربية أولاده في الخارج. وقد ترك هذا الرفض – هذه التجربة القاسية التي اقترنت بالعظمة التي لم تحظَ بالاعتراف– بصمته على العائلة، وبات يفرز تأثيراً لا يُسبر غوره على رئيس الحكومة حتى هذا اليوم. وهذا هو مصدر الثأر المستمر الذي ينتهجه نتنياهو الابن ضد النخبة اليسارية في إسرائيل. لم يورث بنتسيون العقلانية لابنه بنيامين فحسب، بل ترك له أيضاً الشعور بأنه ينتمي إلى أخوية حصرية تلقى معاملة يصبغها الازدراء من نفس الإسرائيليين الذين رفضوا والده».[٩]

فكر بنتسيون نتنياهو: بين القرون الوسطى والتاريخ الحديث

كان بنتسيون نتنياهو أحد أهم الشخصيات التي تأثر بها نتنياهو الابن، فقد كان بنتسيون واسع الاطلاع على تاريخ الشعب اليهودي في القرون الوسطى، وعلى فكر الحركة التصحيحية–التنقيحية، واعتبر أكثر العارفين بفكر جابوتنسكي.[١٠] نشأ بنتسيون نتنياهو في رحم المنظومة الأيديولوجية للحركة الصهيونية التنقيحية. كانت الأيديولوجيا التي آمن بها بنتسيون نتنياهو، هي أيديولوجية الحركة التنقيحية التقليدية، التي تدعو إلى إقامة «إسرائيل الكبرى»، التي لم تكن تمتد على أراضي الضفة الغربية وحدها، بل على أراضي ما يُعرف اليوم بالأردن، حيث كانت تُعتبر أرضاً موعودةً لليهود في نظر الصهيونية التصحيحية، حسب التسمية التي كانت هذه الحركة تُعرف بها. وكانت هذه الحركة قوية، بل كانت تنتهج نهجاً عسكرياً وتدعو إلى تشييد «جدار حديدي» بين الدولة الوليدة والعرب الذين يحيطون بها.[١١]

وقد تطرق بن تسيون نتنياهو إلى العرب في مقابلة أجرتها معه صحيفة معاريف عام ٢٠٠٩، أكد فيها أنه لا يؤمن بوجود شعب فلسطيني. وفي هذا المقام قال «لا يجد الكتاب المقدس (التناخ) أي صورة أسوأ من هذه الصورة للرجل القادم من الصحراء. لماذا؟ لأنه لا يحترم أي قانون، ولأنه يستطيع أن يفعل ما يحلو له في الصحراء... إن النزعة التي تميل إلى الصراع هي في جوهرها نزعة العربي. فهو عدو في جوهره. وشخصيته لن تسمح له بالتوصل إلى أي تسوية أو اتفاق. وهو لا يلقي بالاً لنوع المقاومة التي سيواجهها، أو الثمن الذي يتحتم عليه أن يدفعه. إن وجوده مرتبط بحرب أبدية».[١٢]

كما أشار إلى أنه ينبغي لإسرائيل أن تكون على هذا الموقف. وقال إن «حل الدولتين لا وجود له... فليس هناك من شعبين هنا، بل هناك شعب يهودي وسكان عرب... وليس هناك من شعب فلسطيني. لذلك، فأنت لن تقيم دولة لأمة متخيَّلة... إنهم لا يزيدون على أن يسموا أنفسهم أمة من أجل محاربة اليهود». هنا سألته المراسلة «ما الحل إذن؟» أجاب والد رئيس الحكومة بأنه "ليس هناك من حلّ سوى القوة، والحكم العسكري القوي. وأي انفجار سوف يجلب معاناة هائلة على العرب. لا ينبغي لنا أن ننتظر نشوب تمرد كبير كي نباشر العمل، بل علينا أن نتصرف على الفور وبقوة كبيرة كي نمنعهم من الاستمرار». وقال إن الأمر ذاته ينطبق على المواطنين العرب في إسرائيل، الذين تبلغ نسبتهم عشرين بالمئة من سكان إسرائيل: «أعتقد

وقد وجد نتنياهو الأب الإلهام في المشانق التي كانت الإمبراطورية العثمانية تعلقها في بلاد الشام: "لقد تعرض العرب إلى الضرب المبرح، بحيث أنهم لم يتجرؤوا على الثورة. وبالتأكيد، فأنا لا أوصي بنصب المشانق كاستعراض للقوة، مثلما كان الأتراك يفعلون ذلك، لكنني أريد أن أبيّن أن الشيء الوحيد الذي يمكنه أن يحوِل العرب عن موقفهم الرافض يكمن في القوة».

أنه يجب علينا أن نتحدث إلى العرب الإسرائيليين بلغة يفهمونها ويُعجبون بها – لغة القوة. فلو تصرفنا بقوة تجاه أي جريمة يرتكبونها، فسوف يفهمون بأننا لا نظهر أي تسامح. ولو كنا استعملنا هذه اللغة منذ البداية، لكانوا يتوخون الآن قدراً أكبر من الحذر».

وشبّه الصراع الإسرائيلي- العربي بقوله إن «العرب واليهود مثل عنزتين تلتقيان على جسر ضيق، بحيث أن إحداهما مضطرة إلى القفز في النهر، لكنهما لا تريدان ذلك لأن القفز يعني خطر الموت. ولذا فإنهما تتناطحان على الجسر ولا تقفزان والمناطحة مستمرة من دون توقف. وتؤمنان أحيانا أنه في نهاية المطاف ستُنهك إحداهما وتضطر إلى القفز عن الجسر، وعندها طبعا يتقرر أي منهما هي الأقوى التي سترغم الضعيفة على القفز. وسيتم الحسم في هذه المرحلة من خلال حتمية البقاء. وفي حين أن القفز بالنسبة إلى اليهود سيؤدي إلى ضياع الشعب اليهودي، فإنه بالنسبة إلى الجانب العربي سيؤدي إلى إلحاق أذى بجزء صغير منهم، كون العرب منتشرين في مساحة كبيرة للغاية. لذلك فأنا مؤمن بأن عزيمة الشعب اليهودي في البقاء ستكون أقوى من عزيمة العرب».

وقد وجد نتنياهو الأب الإلهام في المشانق التي كانت الإمبراطورية العثمانية تعلقها في بلاد الشام: «لقد تعرض العرب إلى الضرب المبرح، بحيث أنهم لم يتجرؤوا على الثورة. وبالتأكيد، فأنا لا أوصي بنصب المشانق كاستعراض للقوة، مثلما كان الأتراك يفعلون ذلك، لكنني أريد أن أبيّن أن الشيء الوحيد الذي يمكنه أن يحوّل العرب عن موقفهم الرافض يكمن في القوة».

وتؤكد تصريحات بنتسيون أن نجله بنيامين يخدع الجميع بتأييده حل الدولتين، حين صرح في مقابلة مطولة معه بعد خطاب بار إيلان عام ٢٠٠٩، وكان ابنه بنيامين يجلس إلى جانبه: «إنه [يقصد بنيامين] يضع ذلك النوع من الشروط التي لن يقبلوا بها في أي حال من الأحوال». واستطرد نتنياهو الأب قائلاً: «هذا ما سمعتُه منه، وليس مني. لقد وضع هذه الشروط، وهذه الشروط لن يسلّموا بها على الإطلاق ولا حتى رجلا واحدا منهم».[١٣]

وشدد الأب على أن رئيس الحكومة يدرس خطواته السياسية على نحو جيّد، ولا يُعقل أن يُقدم على أفعال حمقاء. وقد نشرت هذه التصريحات في حينه تحت عنوان ذي دلالة هو «والد نتنياهو يكشف السرّ». ولدى سؤال نتنياهو الأب عن موقفه إزاء إقامة دولة فلسطينية أجاب قائلاً: «لم يستثمر كل من بنيامين زئيف هرتسل وماكس نورداو جهودهما هنا من أجل أن تُقام دولة فلسطينية في نهاية المطاف. هذا البلد هو بلد يهودي وليس للعرب. لا مكان للعرب هنا ولن يكون لهم مكان أبداً، وهم لن يوافقوا على شروطنا مطلقاً».[١٤] وقد أُعيد بث هذه المقتطفات مراراً وتكراراً على التلفزيون الإسرائيلي طيلة يوم وفاة بن تسيون، بعد أن نشرت وسائل الإعلام قبل يوم من وفاته تأكيدات ليوفال ديسكين، رئيس جهاز الأمن العام (الشاباك) السابق في حكومة نتنياهو، إن هذه الحكومة «لم تكن تبدي أي اهتمام بحل أي شيء مع الفلسطينيين».[١٥]

اعتبر بنتسيون أن النخب القديمة، تلك التي أقصته عن المواقع الأكاديمية، لا تزال موجودة، لذلك «لا توجد أي إمكانية للافتراض أنه سيتم تحقيق أهداف الدولة كون اليسار تنازل عنها». وأضاف أن «مشكلة هذا اليسار أنه يعتقد أن الحرب مع العرب شبيهة في أساسها بجميع الحروب الجارية بين الشعوب في العالم. فهذه الشعوب تتوصل إلى تسوية، إما بعد أن ينتصر طرف على آخر، أو عندما يتوصل الطرفان إلى الاستنتاج بأن الحرب أنهكتهما والنصر مستحيل، غير أن الحرب مع العرب تجري برسم أنه وفقاً لطبيعتهم وغرائزهم هم غير مستعدين للتسوية. وحتى عندما يتحدثون عن تسوية فهم يقصدون عملية مراوغة يتمكنون بواسطتها من التغرير بالطرف الآخر كي يوقف الجهود الكبيرة التي يبذلها ويسقط في سلة التسوية. واليسار يساعدهم في تحقيق هذا الهدف. لكن التسوية ليست

يحاول بنتسيون، بطريقة عرضة لفكر جابوتنسكي، الربط بين الراهن الإسرائيلي وفكر جابوتنسكي، لا سيما تحليله للموقف العربي من المشروع الصهيوني، حيث يعتبر جابوتنسكي أن العرب لا يمكن أن يقبلوا المشروع الصهيوني في فلسطين، ولا يمكن رشوتهم بامتيازات اقتصادية واجتماعية لقبول المشروع. واعتبر أن كل محاولات الصهيونية لإقناع العرب التنازل عن طموحهم بطرد اليهود من فلسطين، وتحقيق السلام معهم هي «هذيان صبياني».

بالأمر الواقعي. وهي تضعف مواقفنا وتعودنا على حالة ترهل وتولد لدينا قناعة خاطئة ووهما، وكل وهم يؤدي إلى الضعف».

بعيدا عن لقاءاته الصحافية، ولسبر غور فكر بنتسيون، هنالك حاجة للعودة إلى أهم مؤلفاته. ففي كتاب له بعنوان «آباء الصهيونية الخمسة»،[١٦] اعتبر بنتسيون أن هنالك خمسة آباء مركزيين للحركة الصهيونية، وفي تعريفه لاختياره لهم، أشار أنه اختار هؤلاء الذين كتبوا عن المسألة اليهودية، أي وقفوا على المخاطر التي تهدد وجود اليهود بسبب صعود العداء للسامية، واعتبروا أن حل المسألة اليهودية يجب أن «يكون من خلال إقامة دولة يهودية في وطن الشعب اليهودي، وأشاروا إلى الطريقة لتحقيق هذا الهدف من خلال حراك سياسي ودبلوماسي، يوفر للصهيونية دعم القوى الكبرى وضمانها، لإزالة العوائق من أمام مسيرة بناء الدولة اليهودية».[١٧] يعتبر بنتسيون نتنياهو أن جابوتنسكي كان أقدر القيادات الصهيونية على فهم «المشكلة العربية» في فلسطين، فقد أدرك جابوتنسكي أكثر من هرتسل، وحتى بشكل أفضل من نوردو وزنغويل، جذور المعارضة العربية [لا يسميهم الكاتب فلسطينيين]، والتي عززتها بريطانيا، لأنها توقعت الحصول على استقلالها من الدعم البريطاني، مما حولها إلى معارضة من الصعب السيطرة عليها. ويشير بنتسيون إلى أن جابوتنسكي تنبه للأسس الطبيعية لهذه المعارضة، وعلى أساس إدراكه لهذه الأسس شخص أساس المشكلة. ويوضح نتنياهو أن جابوتنسكي اعتقد أنه لو تم ضرب المعارضة العربية بقوة من البداية لتم القضاء عليها، ولكن القيادة الصهيونية الرسمية لم تفعل ذلك.[١٨] عرض بنتسيون الجوانب المريحة له أيديولوجيا في فكر جابوتنسكي، وسنلاحظ في عرض فكر بنيامين نتنياهو التشابه بين فكرة الجذور الطبيعية للمعارضة العربية التي طرحها بن تسيون في سياق عرضه لفكرة جابوتنسكي، وبين فكر نتنياهو الابن حول جذور العداء العربي الإسلامي لإسرائيل والغرب، النابع من «الثقافة العربية-الإسلامية» (الجذور الطبيعية في مفردات جابوتنسكي)، وليس بسبب وجود مشروع كولونيالي استيطاني عمل على تأسيس دولة يهودية في فلسطين.

يحاول بنتسيون، بطريقة عرضة لفكر جابوتنسكي، الربط بين الراهن الإسرائيلي وفكر جابوتنسكي، لا سيما تحليله للموقف العربي من المشروع الصهيوني، حيث يعتبر جابوتنسكي أن العرب لا يمكن أن يقبلوا المشروع الصهيوني في فلسطين، ولا يمكن رشوتهم بامتيازات اقتصادية واجتماعية لقبول المشروع.[١٩] واعتبر أن كل محاولات الصهيونية لإقناع العرب التنازل عن طموحهم بطرد اليهود من فلسطين، وتحقيق السلام معهم هي «هذيان صبياني»، نابع من استهتار بمشاعر الشعب العربي، والتعامل معهم على أنهم مجموعة من «الغوغائيين، مستعدون لبيع وطنهم مقابل شبكة من سكك الحديد المتطورة».[٢٠] ويقتبس بنتسيون جملة أخرى من مقالة جابوتنسكي حول الجدار الحديدي، «كل شعب أصلاني سيستمر بقتال المستوطنين كلما كان لديه أمل التخلص من خطر الاستيطان الغريب».[٢١] لأول وهلة، يعبر هذا الموقف عن اعتراف بالفلسطينيين كمجموعة أصلانية في فلسطين، كما فيه اعتراف بتشكل هوية قومية (عربية، وليس وطنية فلسطينية) في صفوف الفلسطينيين، ولكن في الحقيقة كان جابوتنسكي يهدف، في هذا المرحلة على الأقل، للاستئناف على نمط عمل الصهيونية السياسية التقليدية التي مثلها حاييم وايزمان، المتمثلة في محاولة استرضاء العرب للاعتراف بالمشروع الصهيوني، علاوة على المقولة الأساسية لجابوتنسكي أنه لا يمكن حلّ الصراع مع المجموعة القومية العربية في فلسطين، لأنها لن تقبل بوجود استيطاني غريب في بلادها، كما لا يمكن نزع اعتراف منها من خلال «مسيرة سلام» وتقديم تنازلات، وإنما من خلال ضربها بقوة. وهكذا يُلخص بنتسيون موقف جابوتنسكي حول العلاقة مع الفلسطينيين على النحو التالي:

«وليس هنالك حاجة للمزيد مما يمكن قوله بالنسبة للمسألة العربية. واضح، بأنه رأى [أي جابوتنسكي] موقف العرب كعنيد جدا، وليس سهلا للتسوية والقبول، كما رآها الكثيرون من أبناء جيله. كما أنه واضح أن ما يمنع اليوم إبادتنا هو

في الفصل الذي يتطرق فيه بنتسيون إلى ثيودور هرتسل، يؤكد في خلاصته أن هرتسل آمن بأرض إسرائيل الكبرى من العريش حتى نهر الفرات. وعندما فاوض هرتسل في أيامه الأخيرة للحصول على قضاء عكا، كان ذلك نابعا، برأي بنتسيون، من أن هرتسل اعتبر أن عكا، هي نقطة انطلاق للحصول على الحكم في كل «أرض إسرائيل» خلال الصراع على تقسيم تركيا [الرجل المريض].

فقط الجدار الحديدي، الذي شيّدناه بقوتنا. من يجرؤ على التخلي عن هذا الحائط الحديدي؟ من يجرؤ على إضعافه؟ لقد فكر جابوتنسكي بحائط سياسي لا يقل أهمية عن الحائط العسكري، وأدرك ما تعلمناه من درس مرّ، أنه لا يوجد نصر عسكري كامل بدون حمايته بنصر سياسي، ولا يوجد نصر سياسي كامل بدون حمايته من طرف الرأي العام».[٢٢]

في الفصل الذي يتطرق فيه بنتسيون إلى ثيودور هرتسل، يؤكد في خلاصته أن هرتسل آمن بأرض إسرائيل الكبرى من العريش حتى نهر الفرات.[٢٣] وعندما فاوض هرتسل في أيامه الأخيرة للحصول على قضاء عكا، كان ذلك نابعا، برأي بنتسيون، من أن هرتسل اعتبر أن عكا، هي نقطة انطلاق للحصول على الحكم في كل «أرض إسرائيل» خلال الصراع على تقسيم تركيا [الرجل المريض]. يرمي بنتسيون من ذلك إلى ربط فكر هرتسل بفكرة المدرسة التنقيحية، ففي خلاصة فصله عن هرتسل، يوضح بنتسيون أن من جاؤوا بعده لم يفهموا فكره، بأنه لا يمكن الاستيطان بدون نظام سياسي، وقوة عسكرية تحميه. وانتقد كل من حاول أن يقلص مطالب هرتسل حول الحقوق السياسية لليهود إلى تلك التي تضمنها الانتداب البريطاني على فلسطين، وهو يلمح بكلامه إلى التيار الاشتراكي الصهيوني، بقيادة وايزمان وبن غوريون وأرلوزوروف، وهو طبعا فهم قاصر وسطحي وانتقائي لفكر هذا التيار واستراتيجيته السياسية والعسكرية، ولكنه فهم يخدم الأجندات الأيديولوجية التي يحملها بنتسيون.

ساهم بنتسيون بكتابة مقال قصير في الكتاب الذي حرره بنيامين نتنياهو حول «الإرهاب» عام ١٩٨٧. يحاول بنتسيون في مقاله نفي صفة «مقاتلون من أجل الحرية» عن ما يسميه ظاهرة «الإرهاب» و«الإرهابيين». وهو يقصد بطبيعة الحال المقاومة الفلسطينية، التي يستذكرها عدة مرات في مقاله. يعتبر بنتسيون أن ظاهرة الإرهاب هي أخطر من النازية. حيث يصف «الإرهابي» على النحو التالي:

«يمثل الإرهابي إنسانا من نوع جديد، يعيد الإنسانية إلى فترة ما قبل التاريخ، إلى فترة لم تكن فيها الأخلاق. وبما أنه لا يعترف بأي قيمة أخلاقية وعديم كل شعور أخلاقي، فإنه عديم الضوابط الأخلاقية. لذلك فهو قادر على فعل كل جريمة، وكما هي ماكينة القتل، فإنه يقوم بأفعاله بلا خجل وبلا أخلاق. ولكنه أيضا كاذب مخادع بصورة كاملة، ولذلك فإنه أخطر بكثير من النازية، التي كانت تعلن عن أهدافها بشكل علني. فيما يتعلق بالحقيقة، فهو [أي الإرهابي] عدميّ كامل».[٢٤] (نتنياهو ب.، ١٩٨٧، صفحة ٥٨). إن تشبيه أعداء إسرائيل بالنازية وهتلر ستكون إحدى المقولات التي سيرددها بنيامين نتنياهو كثيرا خلال مسيرته السياسية. فإذا كانت المقاومة لإسرائيل وهيمنتها أخطر من النازية، بالنسبة لنتنياهو الأب، فإن مقولات نتنياهو الابن ستكون «معتدلة» بالنسبة له، فهو يضعها فقط في مستوى واحد مع النازية.

يرمي المقال القصير الذي كتبه بنتسيون حول «الإرهاب»، في حينه، إلى مقارعة الأصوات في الغرب التي تتفهم مقاومة الشعوب ضد الاحتلال والاستعمار، على اعتبار أنها حركات تحرر وطني للحصول على الحرية والاستقلال. وبشكل متماه مع الجمهوريين في ذلك الوقت (إدارة رونالد ريغن) يشير بنتسيون أن هذا «الإرهاب» مرتبط مع الاتحاد السوفييتي، حيث أن الأخير يدعمه سياسيا وماديا، «فالإرهاب» يحتاج إلى قوة دولية داعمة له لكي يستمر في المقاومة، مقولة سيكررها نتنياهو الابن خلال فترة الثمانينيات، ويعيد إنتاجها في التسعينيات باستبدال الاتحاد السوفييتي الذي انهار، بصعود دولة جديدة داعمة للإرهاب، برأيه، تتمثل في إيران.

على كل حال، يشير بنتسيون أن هنالك سياسيين في الغرب يعتقدون أن «الإرهابيين» يسعون إلى هدف سام، ويمكن محاورتهم، وهذا الأمر برأي بنتسيون نابع من قصور في فهم طبيعة الإرهاب وأهداف الإرهابيين. يشير بنتسيون إلى أن استعمال «الإرهابيين» لمبادئ الحرية والتحرر والعدالة هي حيلة تهدف إلى خداع الغرب، بينما هم في الواقع عكس كل ذلك. وفي هذا السياق، يستحضر بنتسيون حالة منظمة

ساهم بنتسيون بكتابة مقال قصير في الكتاب الذي حرره بنيامين نتنياهو حول «الإرهاب» عام ١٩٨٧. يحاول بنتسيون في مقاله نفي صفة «مقاتلون من أجل الحرية» عن ما يسميه ظاهرة «الإرهاب» و «الإرهابيين». وهو يقصد بطبيعة الحال المقاومة الفلسطينية، التي يستذكرها عدة مرات في مقاله.

التحرير الفلسطينية التي تستعمل هذه الخديعة، فهي تمارس قتل المدنيين، وكل من يعارض طريق المنظمة من صفوف الفلسطينيين تقوم بقتله، فهي تحل مشاكلها الداخلية واختلاف الرأي بين قياداتها من خلال الاغتيالات والقتل. ويستمر بنتسيون في ادعاءاته، بقوله إنه حتى في حالات أخرى نجحت فيها حركات تحرر بالحصول على الاستقلال، فإنها مارست القمع وانتهاك حريات الإنسان بعد ذلك بحق شعوبها، لذلك فإن وصف هذه الحركات بأنها حركات تحرر هو بعيد عن الحقيقة.

تأثيره على بنيامين نتنياهو: الكارثة الكامنة في المستقبل

لم تكن دراسة الآباء المؤسسين للصهيونية، والمقالات المبثوثة هنا وهناك، النصوص الأهم التي ألفها بنتسيون، وإنما كتابه حول الحاخام «دون يتسحاق أباربانيل» (١٤٣٧-١٥٠٨)، والذي اعتمد في تأليفه على رسالته لنيل لقب الدكتوراه. يعتبر أباربانيل بنظر بنتسيون أهم شخصية يهودية في القرون الوسطى، فقد كان حاخاما ومنظرا وقائدا لليهود في الأندلس. وكما وصفه بنتسيون بأنه «رجل دولة، دبلوماسي، ورجل بلاط ومصرفيّ ذو سمعة عالمية، وكان في الوقت نفسه، عالما موسوعيّا، ومفكرا فلسفيّا وكاتبا عبقريّا».[٢٥] بالنسبة لبنتسيون، كان أباربانيل شخصية دمجت بين العمل والفكر، بين الحكم والفلسفة، وبين السياسة والكتابة.

علاوة على ذلك، عايش أباربانيل فترة مرّ بها الشعب اليهودي (هكذا يسميهم بنتسيون في تلك الفترة- شعب) بتحولات عميقة على المستوى الفكري، الاجتماعي والسياسي. ومثلت فترته عملية الانتقال من العصور الوسطى إلى العصر الحديث. الأهم في هذا السياق، ما يشير له الكاتب عن هذه الفترة، أنها مثلت شيوع التوجهات المسيانية الخلاصية في صفوف اليهود، توجهات مسيانية كانت تنذر بالكارثة (Apocalyptic trends). وقد مثّل أباربانيل في كتاباته وأفكاره هذه التوجهات. وقد أثر أباربانيل لاحقا على صعود التوجهات الخلاصية في صفوف اليهود في القرنين السادس عشر والسابع عشر. حيث اعتبر أن قدوم المسيح المخلص هو أساس ثابت في العقيدة اليهودية. حمل أباربانيل توجهات فكرية ودينية وسياسية عديدة، ولكن يمكن الإشارة إلى ثلاثة توجهات مركزية كما تظهر في كتاب بنتسيون، ونعتقد أنها أثرت على نتنياهو الابن، كما سنبين ذلك لاحقا خلال تحليل فكر نتنياهو.

الأولى وهي المقولة المركزية في فكر نتنياهو وأباربانيل، أن الصراع أو الصدام بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية سيستمر، وهو التأطير الذي يعتبره بنتسيون «الإنجاز التاريخي لأباربانيل» داخل المسيحية واليهودية.[٢٦] المقولة الثانية تتجسد في أن التاريخ يسير في مسارين، الأول التاريخ العام والثاني تاريخ اليهود،[٢٧] لذلك فإن نتنياهو الابن دائم الاستحضار للتاريخ في الحاضر، فهو يعود للتاريخ من الحاضر، ويقرأ المستقبل من التاريخ. بينما المقولة الثالثة سوف تدفع به لرؤية المستقبل من أجل الحاضر أيضا.

أثرت المقولة الثالثة على نتنياهو في محاولة العمل كنقيض لها، أي منع كارثة مستقبلية من خلال فهم ديناميكيتها التاريخية والاستعداد لها في الحاضر. فكما يشير بنتسيون فإن أباربانيل رأى أن هنالك كارثة في الأفق تنتظر اليهود في إسبانيا، ولكنه لم يعمل شيئا سوى الانتظار معتمدا على إيمانه بقدوم المخلص. فكانت الشعوب الأخرى -كما آمن أباربانيل - تسير تحت إمرة أمراء الله (خلفاء الله على الأرض)، بينما كان اليهود يسيرون تحت عين وإمرة الله نفسه. من هذه الناحية، مثّلت الصهيونية نقيضا لأباربانيل، فمن جهة حملت مشروع «خلاص» اليهود من خلال العمل داخل التاريخ وعلى الأرض وليس خارج التاريخ.[٢٨] ومن جهة أخرى، مثلت الصهيونية عملية إنقاذ اليهود من الحاضر، الناتج عن تاريخ متسلسل من الملاحقة التاريخية في أوروبا. أما نتنياهو الأبن فيعمل لخلاص اليهود من كارثة مستقبلية [المشروع النووي الإيراني في الوقت الراهن] كما توقع أباربانيل الكارثة القادمة على اليهود، ولكنه

«ليس من الصعوبة تمييز الخطوط المشتركة بين الفكر السياسي الذي حمله أباربانيل والفلسفة السياسية لنتنياهو الابن- الصراع النهائي المدمر بين يأجوج وأرميلوس، بين الإسماعيليين والمسيحيين، فإن نتنياهو ترجمه كصراع الغرب (المسيحي) ضد الإرهاب (الإسلامي)، وتبنى من أباربانيل مفهوم استعمال القوة العسكرية الذي قال «فقط قوة عسكرية حاسمة هي الضمانة الحقيقية الوحيدة للسلام».

اختلف عنه بالعمل على منع حدوث هذه الكارثة وليس انتظار حدوثها، لذلك يكثر من الحديث عن الخطر الإيراني ككارثة مستقبلية تهدد الوجود اليهودي في فلسطين، ويجب الاستعداد والعمل على منعها في الحاضر. وهكذا، حاولت الصهيونية إنقاذ الحاضر اليهودي من التاريخ، بينما يسعى نتنياهو إلى إنقاذ الحاضر اليهودي من المستقبل.

يلتفت المؤرخ الإسرائيلي بن-زكين إلى التأثير الذي لعبته شخصية أباربانيل وفكره على نتنياهو الابن، لا سيما تبنيه لفكرة الصراع الحضاري بين الغرب والإسلام، حيث يقول:

«ليس من الصعوبة تمييز الخطوط المشتركة بين الفكر السياسي الذي حمله أباربانيل والفلسفة السياسية لنتنياهو الابن- الصراع النهائي المدمر بين يأجوج وأرميلوس، بين الإسماعيليين والمسيحيين، فإن نتنياهو ترجمه كصراع الغرب (المسيحي) ضد الإرهاب (الإسلامي)، وتبنى من أباربانيل مفهوم استعمال القوة العسكرية الذي قال «فقط قوة عسكرية حاسمة هي الضمانة الحقيقية الوحيدة للسلام»، وأن «كل حرب تحمل مخاطر كبيرة، ولهذا يجب الامتناع عنها قدر المستطاع، ففي بعض الأحيان تتناقض نتائج الحرب مع كل الحسابات المنطقية». ولكن أكثر ما أخذه بنيامين نتنياهو من أباربانيل هو دمج الفكر السياسي داخل تاريخ الكوارث. ففي حين نظر والده في التاريخ من خلال مركبين للكارثة- التهجير من إسبانيا والهولوكوست اليهودي- فإن نتنياهو الابن أضاف مركبا ثالثا، من خلال وصفه لإسرائيل كحاملة لمكنون كبير أن تتحول إلى الكارثة اليهودية الأكبر في التاريخ. خطاباته الهامة مركبة من المبنى نفسه: يتحدث بداية عن تاريخ الكارثة اليهودية، وبعد ذلك يشير إلى الخطر الكامن لكارثة مستقبلية حقيقية (إيران، الجهاد العالمي، المواطنون العرب في الانتخابات) وفي النهاية يعلن حالة طوارئ».[٢٩]

ويكمل بن-زكين في تحليله العميق والرائع لهذا التأثير بالقول:

«لا يكتفي نتنياهو بوصف إسرائيل من خلال تسلسل من الكوارث التاريخية، طرد إسبانيا والكارثة اليهودية. قبل سفره من أجل الخطاب في الكونغرس [الخطاب الذي كان يهدف لإقناع الكونغرس بخطورة الاتفاق النووي مع إيران، والذي نُظم بدون تنسيق وموافقة من طرف إدارة أوباما]، زار نتنياهو قبر أبيه وقال هناك «والدي لم يخف يوما من الخروج إلى العاصفة في الخارج»، وذلك من خلال استعمال الوصف الذي كتبه والده عن أباربانيل. وكما حاول والده خلق ضجة أمام اليهود في أميركا مع وصول الأنباء عن الكارثة، بهدف تجنيد الإدارة الأميركية للعمل ضد معسكرات الإبادة ومن أجل اللاجئين [اليهود]، فإن نتنياهو الابن يسافر لتجنيد الكونغرس ليضغط على الإدارة الأميركية بهدف إزاحة الخطر الإيراني عن الوجود اليهودي في البلاد. السخرية التاريخية هي، أن نتنياهو الأب اعتقد أن الحركة الصهيونية حققت نبوءة أباربانيل «ليس بقوة الرب وإنما بقوة الإنسان»، بينما تعيد أعمال ابنه شعبا كاملا إلى الفكر الأصلي لأباربانيل، الذي ينطلق أن التدخل الإلهي هو ضروري للوصول إلى الخلاص السياسي للشعب اليهودي، وهنالك من يتحدث عن ذلك جهرا، ومنهم تيارات في الارثوذكسية المسيانية، الذين يدعون أن الحاخام قال لنتنياهو «أنت ستكون رئيس الحكومة الأخير وأنت من سينقل القيادة إلى المسيح المنتظر».[٣٠]

في سياق دراسة بنتسيون للتاريخ الإسباني، لا بد من الإشارة، إلى تأثير هذا التاريخ على مقاربة نتنياهو الابن للحالة الفلسطينية. ففي كتابه «مكان تحت الشمس»، يناقش نتنياهو مقولة الفلسطينيين والعرب بأن الحق على فلسطين للعرب والفلسطينيين لكونهم عاشوا في فلسطين لمئات السنين. هنا يستحضر نتنياهو الحالة التاريخية الإسبانية التي تخصص فيها أبوه. حيث يزعم نتنياهو أن حكم العرب والمسلمين لإسبانيا لمئات السنين لم يمنع الإسبان من مقاتلتهم وطردهم من بلادهم، وذلك على الرغم أنهم شيّدوا هناك حضارة مزدهرة. حيث بقيت قلوبهم متعلقة ببلادهم، وفي النهاية استطاعوا طرد العرب والمسلمين من هناك وأعادوا بناء دولتهم. ولم

يمنعهم وجود العرب هناك لمئات السنين من التخلي عن هذا الهدف، لذلك فإن ما انطبق على الإسبان ينطبق على اليهود، فضلا عن أن العرب في فلسطين كما يشير نتنياهو (أنظر لاحقا بالتفصيل) لم ينتجوا ثقافة أو عمرانا في البلاد، فكانوا عابرين في فلسطين، حملتهم الرياح، وسيعبرون مع هبّة رياح أخرى هناك.[٣١] كان الدرس الأساسي الذي أخذه نتنياهو الابن من والده فيما يتعلق بالتاريخ الإسباني، أن اليهود عليهم أن يكونوا مستعدين للقتال مئات السنين للحفاظ على حقوقهم.[٣٢] كان يعتقد نتنياهو أن استمرار القتال والاستعداد له سوف يلعب لصالح الشعب اليهودي، لا سيما ديمغرافيا، فهو كان يؤمن بأن الميزان الديمغرافي سوف يصب لصالح اليهود في فلسطين، هكذا كتب في فصل «المسألة السكانية» في كتاب مكان تحت الشمس، وفقط في دورات حكمه الأخيرة بدأ نتنياهو يعطي العامل الديمغرافي أهمية أكبر في خياراته السياسية، وذلك بتأثير نهج وتوجه اريئيل شارون. فبدل ضم كل الضفة الغربية مع سكانها (نتنياهو القديم)، فيمكن ضم غالبية الضفة الغربية بدون سكانها.

ويشير أستاذ التاريخ افنير بن-زكين، أن نتنياهو هو أكثر القيادات الإسرائيلية انغماسا بالتاريخ، وذلك بتأثير أبيه المؤرخ بنتسيون نتنياهو عليه. ويعارض بن-زكين محاولات ارجاع أفكار نتنياهو وسلوكه السياسي إلى التجربة الأميركية، أو الليبرالية الاقتصادية والمحافظة السياسية، بل تعود جذوره الفكرية إلى التاريخ، منه يستنبط مقولاته الفكرية وخلاصاته السياسية العملية، فنتنياهو يملك «إطارا فلسفيا محكما ومنظما، وتشتعل في داخله نار الإقناع الذاتي بصدقية طريقه».[٣٣] ويشير بن-زكين في هذا الصدد:

«أدرك نتنياهو الابن، أنه من خلال ترميم، وتصعيد وإدارة الكارثة الكامنة يستطيع الحفاظ على وعي سياسي يهودي جماعي، كصمغ يحافظ على وحدة الكيان السياسي اليهودي. لذلك فإن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني لا يمكن حله من خلال اتفاق سلام، وضم المناطق، وانسحاب أحاديّ الجانب أو طرد الفلسطينيين، وإنما إدارته، من خلال تصعيد الوضع وتحويله إلى واقع غير قابل للحل. ولا يمكن حل تهديد المشروع النووي الإيراني من خلال عملية عسكرية أو اتفاق، وإنما من خلال حفظه واحتوائه من خلال نظام عقوبات أبدي، وحكم حماس في غزة لا يتم إسقاطه من خلال احتلال القطاع وتسوية دولية جديدة، وإنما من خلال حفظه، واحتواء تساقط الصواريخ، التي تعتبر حيوية لتجسيد خطر إقامة دولة فلسطينية، وتهديد عرب إسرائيل لا يتم ازالته بواسطة الطرد، أو [منحهم] مساواة كاملة في الحقوق أو تبادل مناطق، وإنما احتوائه وحفظ مكانتهم كطابور خامس، يهدد قلب الوجود اليهودي في البلاد. كمبدأ، لا يتم القضاء على التهديدات وإنما الحفاظ عليها وتصعيدها، لأنها تحمل خدمة كبيرة لبلورة وعي سياسي وتاريخي مشترك وناجع. وهكذا يرقص نتنياهو الابن بحماسة بين الكارثة الكامنة [في الأفق]، والتي يقوم بتأجيجها، وبين منع تحقيقها، وفي الوقت نفسه إبقاء الوجود اليهودي في حالة طوارئ. فلسفة نتنياهو السياسية هي كلها فلسفة منع كارثة [كامنة]».[٣٤]

خاتمة

هدفت هذه الورقة إلى تحليل شخصية بنتسيون نتنياهو وسيرته الذاتية ذات الصلة بالواقع السياسي الإسرائيلي. وقد بينت الورقة التأثير الكبير لبنتسيون على نجله بنيامين نتنياهو، حيث أوضحت معالم هذا التأثير على الخطاب السياسي والأيديولوجي للابن. تعوذ جذور بنتسيون نتنياهو الفكرية على عالمين، تاريخ اليهود في القرون الوسطى، وتاريخ الحركة الصهيونية التنقيحية أو التصحيحية التي كان مرافقا شخصيا ومقربا من قائدها ومنظّرها. وقد تأثر بنتسيون من كلا العالَمين بطريقة ساهمت في بلورة فكره وتصوراته. فمن عالم القرون الوسطى، تأثر بنتسيون بتاريخ اليهود في إسبانيا والكارثة التي حلت بهم هناك، ونزعة اليهود للارتهان إلى الفكر الخلاصي المسياني، كما أنه أخذ من هناك فوقية اليهود على الشعوب الأخرى، ودورهم في الفكر الحديث، مستنتجا أن على اليهود بناء قوتهم وكيانهم من خلال الاعتماد على ذاتهم الجماعية عبر تعزيز مصدر القوة الأساسي، القوة العسكرية التي كان يمكن لها أن تمنع الكارثة التي حلت بهم بسبب الطرد من إسبانيا. أما من عالم التاريخ الحديث، فقد تأثر بفكر جابوتنسكي وانتقد الصهيونية الاشتراكية (وايزمان وبن غوريون) التي ارتهنت إلى العمل الدبلوماسي والسياسة البرغماتية المفرطة برأيه، على حساب بناء قوة عسكرية يهودية والاعتماد على الذات الجمعية. يمكن القول إن الفكر الخلاصي الديني المسياني في القرون الوسطى الذي لم يمنع كارثة اليهود (الطرد من إسبانيا)، ينسجم برأي بنتسيون مع العمل الدبلوماسي والاعتماد على الآخرين واستعطافهم، الذي رأى أنه يميز الصهيونية الوايزمانية والبن-غوريونية. انعكست الحالتان على فكر نتنياهو الابن الذي يعتبر نفسه قادرا على منع كارثة مستقبلية بالاعتماد على فكرة الجدار الحديدي في معناها المجرد، بناء قوة عسكرية وعدم الثقة بالآخرين.

الهوامش

١ رونيت فاردي، **بيبي- من أنت سيدي رئيس الحكومة؟**، (تل ابيب: منشورات كيتر، ١٩٩٧)، ص ٢١.
٢ بنيامين نتنياهو، **مكان تحت الشمس** - ترجمة م، الدويري- (عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٩)، ص. ٧١.
٣ بن كسبيت، ايلان كفير، داني دور، **نتنياهو: الطريق إلى السلطة**، (تل ابيب: الفا تكشورت، ١٩٩٧).
٤ عدي عرمون، «سيدي كان بالنسبة لي والدي الثاني»، هآرتس الثقافة، ٢٩ /٢٠١٧/٩.
٥ عرمون، «سيدي كان...» **هآرتس الثقافة**، ٢٩ /٢٠١٧/٩.
٦ بن كسبيت، ايلان كفير، داني دور، **نتنياهو: الطريق**... ، ص. ٢٦
7. Ben Caspit, The Netanyahu Years (2017 22-pp 21). New York: Martin`s Press
٧ بن كسبيت، ايلان كفير، داني دور، **نتنياهو**: الطريق... ، ص. ٢٧.
٨ عرمون، «سيدي كان...» **هآرتس الثقافة**، ٢٩ /٢٠١٧/٩
٩ أنطون شلحت، **بنيامين نتنياهو وعقيدة اللاحل**. (رام الله: مركز مدار: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، ٢٠١٤).
10 Yael Aronoff, The Political Psychology of Israeli Prime Ministers: When Hard-Liners Opt for Peace, (New York: Cambridge University Press, 2014) p 45
١١ أنطون شلحت، **بنيامين نتنياهو.....**، ٢٠١٤.
١٢ أنطون شلحت، **بنيامين نتنياهو.....**، ٢٠١٤.
١٣ أنطون شلحت، **بنيامين نتنياهو.....**، ٢٠١٤.
١٤ أنطون شلحت، **بنيامين نتنياهو.....**، ٢٠١٤.
١٥ أنطون شلحت، **بنيامين نتنياهو.....**، ٢٠١٤.
١٦ وهم حسب الترتيب في الكتاب: يهودا ليف بينسكر، ثيودور هرتسل، ماكس نوردو، يسرائيل زنغويل، زئيف جابوتنسكي.
١٧ بنتسيون نتنياهو، **آباء الصهيونية الخمسة**، (تل ابيب: يديعوت أحرونوت، ٢٠٠٣) ص. ٩
١٨ بنتسيون نتنياهو، **آباء الصهيونية...** ، ص. ٢٧٠-٢٧١.
١٩ بنتسيون نتنياهو، **موقع جابوتنسكي في تاريخ اسرائيل**، (حيفا: جامعة حيفا، ١٩٨٢).
٢٠ بنتسيون نتنياهو، **آباء الصهيونية...** ، ص. ٢٧٢.
٢١ بنتسيون نتنياهو، **آباء الصهيونية...** ، ص. ٢٧٢.
٢٢ بنتسيون نتنياهو، **موقع جابوتنسكي في...** ، ص. ١٤
٢٣ بنتسيون نتنياهو، **آباء الصهيونية...** ، ص. ١٢٦.
٢٤ بنتسيون نتنياهو، «الإرهابي ومحاربو الحرية» في بنيامين نتنياهو، **الإرهاب: كيف يستطيع الغرب الانتصار؟** (تل أبيب: سِفْريات معاريف، ١٩٨٧)، ص. ٥٣-٥٨
25 Benzion Netanyahu, Don Isaac Abravanel: Statesman and Philosopher, 2nd edition, (Philadelphia: The Jewish publication Society of America, 1968), p. vii
26 Netanyahu, Don Isaac Abravanel…., p 254
27 Netanyahu, Don Isaac Abravanel… , p 143
٢٨ عزمي بشارة، **من يهودية الدولة حتى شارون: دراسة في تناقض الديمقراطية الإسرائيلية**. (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥).
٢٩ أفنير بن-زكين، "الأب، الابن وروح المأساة"، **هآرتس**، ٢٠١٥/٤/٢٣ https://www.haaretz.co.il/opinions/.premium-١,٢٦٢٠٢٨٣ (آخر مشاهدة في ٢٠١٨/٣/٣).
٣٠ أفنير بن-زكين، «الأب، الابن وروح المأساة»، **هآرتس**، ٢٠١٥/٤/٢٣.
٣١ بنيامين نتنياهو، **مكان تحت الشمس** - ترجمة م، الدويري- (عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٩)،
32 Yael Aronoff, The Political Psychology… ,p. 46
٣٣ أفنير بن-زكين، «الأب، الابن وروح المأساة»، **هآرتس**، ٢٠١٥/٤/٢٣
٣٤ أفنير بن-زكين، «الأب، الابن وروح المأساة»، **هآرتس**، ٢٠١/٤/٢٣